# الامتحانُ الأكبرُ(١)

قيل قديما : « يوم الامتحان يُكرَم المرءُ أو يُهَانُ » .

تعيشُ البيوتُ في آخرِ كلِّ عامٍ دراسيٍّ أزمةَ الامتحاناتِ التي تطرقُ الأبوابَ ، وما إنْ يقترب هذا الموسمُ حتَّى ترى كثيراً من البيوتِ قد أعلنتْ حالةَ التأهُّبِ القصوى ، والاستعدادِ الكاملِ ، لدخولِ معمعةِ الامتحانِ التي يكرمُ المرءُ فيها أو يُهَانُ ! وهذا جهدٌ مشكورٌ ، وعملٌ مأجورٌ ، إذا صلحت النيَّةُ ، وخلُصَ المقصدُ لله ربِّ العالمين .

ولكنّنا لو تأمّلْنا هذا الاهتمامَ مِن أجلِ هذا الامتحانِ ، ثمَّ نظرْنا إلى ضَعفِ الاستعدادِ ، وقلَّةِ الاهتمامِ ، وشدَّةِ الغفلةِ عن ذلك الامتحانِ الرهيبِ ، الذي خَلَقَنا اللهُ ـ تعالى ـ مِن أجْله ، وأنْشَأنا له ، لرأيتَ العجبَ العُجابَ ، قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢] .

وقال تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٣١]

والفرقُ واسعٌ ، والبَونُ شاسعٌ بين امتحانِ الدنيا وامتحانِ الآخرةِ .

---

(١) عدد كبيرمن فقرات هذا الموضوع مأخوذ من الإنترنيت مع التعديل والتصرف ، بقلم الأخ عبد اللطيف الغامدي .

وإليكم أَوْجُهًا مِن ذلك التبايُنِ والاختلافِ بين الامتحانين :

**فمن حيث الموضوعُ** ، فامتحانُ الدنيا في جزءٍ مِن كتابٍ ، وفي ورقاتٍ معدوداتٍ ، في مجالٍ من مجالاتِ الحياةِ ، وضربٍ من ضروبِ العلمِ ؛ أمَّا امتحانُ الآخرةِ ففي كتابٍ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاَّ أحصاها ، قد حوى الأقوالَ ، وأحصى الأفعالَ ، وأحاطَ بالحركاتِ والسَّكناتِ ، وألمَّ بالخطراتِ والزلاَّتِ ، قال تعالى :

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف : ٤٩] .

فالصغائرُ مسجَّلةٌ فيه ، كما أنَّ الكبائرَ مدوَّنةٌ في هذا الكتاب ، قال تعالى :

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر : ٥٣] .

فالعبادُ يقولون ويعملون ، والكُتَّابُ من الملائكةِ يكتبون . ويومَ القيامةِ يُخرِجُون ما كانوا يُحصون ويَستنسِخون ، قال تعالى :

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٩] .

فتُنشر الفضائحُ ، وتَظهرُ القبائحُ ، ويبدو ما كان مخبوءاً من ذنوبٍ وعصيانٍ ، تحت ركامِ الغفلةِ والنسيانِ!

قال تعالى :

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة : ٦] .

ومن حيثُ الأسئلةُ ، فامتحانُ الدنيا أسئلتُه محدودةٌ في بعضِ مفرداتِ الكتابِ ، فلا يمكنُ للمعلِّمِ أنْ يسألَ الطالبَ عن كلِّ دقيقٍ وجليلٍ من محتوياتِ المنهجِ ، وربّما تدركُه الشفقةُ فيختارُ له مِن أسهلِ الأسئلةِ وأيْسرِها ، ولعلَّه يراجعُ مع الطالبِ الإجابةَ قُبَيْلَ الامتحانِ بأيامٍ مساعدةً له ، وتيسيراً عليه .

أما امتحانُ الآخرةِ فالأسئلةُ حاويةٌ لجوانبِ الحياةِ ، شاملةٌ لدقائقِ العمرِ ؛ أسئلةٌ عن المعتقداتِ.. وأسئلةٌ عن الأقوالِ.. وأسئلةٌ عن الأفعالِ.. وأسئلةٌ عن الأموالِ.. وأسئلةٌ عن النيَّاتِ.. وأسئلةٌ عن العباداتِ.. وأسئلةٌ عن الأوقاتِ.. وأسئلةٌ عن الأماناتِ..

سؤال خطيرٌ ؛ جِدُّ خطير ، عن كلِّ كبيرٍ وصغيرٍ ، وعظيمٍ وحقيرٍ ! قال تعالى :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر : ٩٢ـ٩٣] .

إنه موقفُ السؤالِ والحسابِ بين يدي مَلِكِ الملوكِ ، وعلاَّمِ الغيوبِ ! قال تعالى :

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات : ٢٤] .

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ ؟ »[1] .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :

---

(١) أخرجه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي ( ٢٤١٧ ) .

« كُلُّكُمْ رَاعٍ ، ومَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ ، وَهِيَ مَسؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »[١] .

وقال ﷺ أيضاً : « إنَّ اللهَ تَعَالَى سَائِلٌ كَلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّع ؟ حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ« [٢] .

وَ لَــو أَنَّــا إِذا مُتنــا تُــرِكنــا لَكــانَ المَــوتُ راحَــةَ كُــلِّ حَــيِّ
وَ لَكِنّــا إِذا مُتنــا بُعثِنــا وَنُسـأَلُ بَعـدَ ذا عَـن كُـلِ شَـيءٍ

ومن حيث المكانُ ، فامتحانُ الدنيا في جوٍّ مهيَّأٍ ، ومكانٍ مُعَدٍّ ، فالكراسي مُريحةٌ ، والأنوارُ ساطعةٌ ، والأمنُ والأمانُ متوافران في مكانِ الامتحانِ .

أمّا امتحانُ الآخرةِ ففي جوٍّ رهيبٍ ، وموقفٍ عصيبٍ ، ومكانٍ عجيبٍ ، قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

[إبراهيم : ٤٨]

إنها أهوالٌ عظيمةٌ ، وكُرُباتٌ جَسيمةٌ ، وأحوالٌ مفجِعةٌ ، ومناظرُ مدهِشةٌ ، ترتعدُ منها الفرائصُ ، وتقشعرُّ منها الجلودُ ، وتنخلعُ لِهَوْلِها القلوبُ ، وتَشيبُ منها مفارقُ الوِلْدان ، قال تعالى :

---

(١) أخرجه البخاري ( ٨٥٣ ) واللفظ له ، مسلم ( ١٨٢٩ ) .
(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ( ٩١٧٤ ) .

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾ [المزمل : ١٧] .

يومَ يجمعُ اللهُ الأوَّلين والآخرين ، فإذَا هم بالسَّاهرة ، حفاةً بلا نعالٍ ، عراةً بلا أرديةٍ ، غُرْلاً ، أي : مِن غيرِ ختان ، قال تعالى :

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ؟! فَقَالَ : الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ »(١) .

القبورُ بُعثِرتْ ، والأفلاكُ فُجِّرت ، والنجومُ انكدرتْ ، والسماءُ تفطَّرت ، والجبالُ سُيِّرتْ ، والبحارُ سُعِّرت ، والشمسُ كوِّرتْ ، والجحيمُ بُرِّزتْ ، والوحوشُ جُمعتْ ، وعلى أرضِ المحشرِ حُشِرَتْ ، قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج : ٢] .

القلوب واجفةٌ ، والأبصارُ خاشعةٌ ، والأعناقُ خاضعةٌ ، والأممُ جاثيةٌ على الرُّكبِ تخشى العَطَبَ ، لِما ترى وتسمعُ من مُهلِكاتٍ وخُطوبٍ ، فالميزانُ منصوبٌ ، والصراطُ مضروبٌ ، والشهودُ تشهدُ ، والجوارحُ تفضحُ ، والصحائفُ تُنشَرُ ، فأين المفرُّ ؟! إلى اللهِ يومئذٍ المستقرُّ ، قال تعالى :

---

(١) أخرجه مسلم ( ٢٨٥٩ ) .

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

ومن حيث الزمانُ ، فإنّ امتحانَ الدنيا إنْ طالَ زمانُه ، وامتدَّ أوانُه ، فهو في ساعةٍ من نهارٍ ، وربّما كان أكثرَ بقليلٍ .

أمّا امتحانُ الآخرةِ فهو في ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾

[السجدة : ٥] .

وعندما يعيشُ المجرمون ذلك اليومَ الطويلَ ، بما فيه من خَصْبٍ جليلٍ ، يُقسِمون الأيمانَ المغلَّظةَ ، ما لبثوا في الدنيا إلاَّ قليلاً ، ولا عاشوا فيها إلاَّ يسيراً ، قال تعالى :

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم : ٥٥] ، فيفزعون نادمين ، وعلى أعمارِهم متحسِّرين ؛ إنما هو زمنٌ يسير! وعمرٌ قصير ثُمَّ كان الحسابُ العسيرُ ، وإلى اللهِ المصيرُ! قال تعالى :

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون : ١١٢ـ ١١٤] .

والعاقلُ الحَصِيفُ يعلمُ علْمَ اليقينِ أنَّما هي بضعُ سنين ، أو أقلُّ من ذلك أو أكثرُ ، ثمَّ يُقبَرُ ، ثمَّ يُنشرُ ، ثمَّ يُحشرُ ، فإذا به واقفٌ بين يدي ربِّه في يومِ العرضِ الأكبرِ ، فيستعدُّ لِما أمامه من أهوالِ يومِ القيامةِ ، فيغتنمُ أيّامَه ولياليه فيما يقرِّبه من خالقِه ومربِّيه بالمبادرةِ إلى الطاعاتِ ، والأعمالِ الصالحاتِ ، والمسابقةِ في الخيراتِ ، قبلَ أنْ تأتيَه المنيَّةُ ،

ويُصاحُ في قافلةِ الهَلْكى : الرحيل! الرحيل! قال تعالى :

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات : ٤٦] .

ومن حيث المراقِبُ ، فالمراقبُ في الدنيا مخلوقٌ مثلُك ، محدودُ القدراتِ ، معدودُ الإمكاناتِ ، ينسى ويغفلُ ، ويسهو ويتنازلُ ، وليس بالإمكانِ أنْ يحيطَ بقاعةِ الامتحانِ!

أمَّا الرقيبُ على امتحانِ الآخرةِ ـ وله المثلُ الأعلى ـ فهو الذي لا يضلُّ ولا ينسى ، قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً ، لا تخفى عليه خافيةٌ ، ولا يعزبُ عنه مثقالُ ذرَّةٍ ، ولا يغيبُ عن بصرِه شيءٌ من الأشياءِ في الأرضِ ولا في السَّماءِ ، قال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، فَقَالَ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَنَامُ ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ »[1] .

فأين تغيبُ عن سمعِه وبصرِه ؟! وهو السَّميعُ البصيرُ!

وأين تهربُ عن علمِه ونظرِه ؟! وهو العليمُ الخبيرُ!

وأيُّ حجابٍ يواريك منه ، ويحجبُك عنه ؟!

---

(١) أخرجه مسلم ( ١٧٩ ) .

ومن حيث النجاحُ ، فالنجاحُ في امتحانِ الدنيا مؤدَّاهُ أن يرتقيَ العبدُ في مراتبِها ، ويعتلي في درجاتِها ، وأيُّ درجةٍ هذه ؟! وأيُّ مرتبةٍ تلك ؟! والدنيا بما فيها من نعيمٍ ولذَّةٍ ، منذ خلَقَها اللهُ تعالى ، وإلى أنْ يرثِها ، وهو خيرُ الوارثين ، نعيمُها لا يساوي في نعيمِ الآخرةِ إلاَّ كقطرةٍ أُخِذَتْ من بحرٍ لُجيٍّ ، فَعَنِ المُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ »(١) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ ، أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَمَلأَتْهُ رِيحًا ، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »(٢) .

أمَّا نجاحُ الآخرةِ فهو الزحزحةُ عن النَّارِ ، والدخولُ إلى الجنَّةِ ، فضلاً من الله ومِنَّةً ! قال تعالى :

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

وتأمَّلْ فرحةَ المؤمنِ العارمةَ ، وسعادتَه الغامرةَ ، عندما يثقلُ بالصالحاتِ ميزانُه ، وتثبتُ على الصراطِ أقدامُه ، فيأمنُ يوم الفزعِ الأكبرِ

---

(١) أخرجه مسلم ( ٢٨٥٨ ) ، الترمذي ( ٢٣٢٣ ) ، ابن ماجه ( ٤١٠٨ ) .
(٢) أخرجه البخاري ( ٢٦٤١ ) .

جنانُه ، ويُلقَّى حجَّته وبيانَه ، فيرفع كتابَه فوق رأسِه ، وينشرُه بين الخلائقِ ، ويستعلي بصوتِه ، وينادي على رؤوسِ الأشهادِ ، في فرحٍ وسرورٍ ، وبهجةٍ وحُبورٍ :

﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ١٩ـ ٢٤] .

وكما أنَّ النجاحَ يتفاوتُ في الدنيا ما بين مقبولٍ ، وجيّدٍ ، وجيّدٍ جدًّا ، وممتازٍ ، ثم تأتي مراتبُ الشرفِ ، وأوسمةُ التفوُّقِ ، درجاتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ ، كذلك يوم القيامة ، فدخولُ الجنَّةِ لا يكون إلاَّ بفضلِ الله ومنّتِه ، ثُمَّ يكونُ التفاوتُ في الدرجاتِ ، والتمايزُ بين أهلِها في النعيمِ والخيراتِ ، على حسبِ أعمالِهم الصالحةِ في الدنيا ، فكلَّما زادت حسناتُهم زادتْ درجاتُهم ، وكلّما كثرتْ طاعاتُهم ارتقوا في منازلِهم ، وعظمتْ كرامتُهم ، قال تعالى :

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأنعام : ١٣٢] .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلاَهَا دَرَجَةً ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الأَرْبَعَةُ ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ الْعَرْشُ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ »[1] .

فجدَّ ، واجتهدْ ، ولا يسبقنَّك إلى الجنَّة ـ مِمَّن عرفت ـ أحدٌ!

ومن حيث الرسوبُ ، فالإخفاقُ في امتحانِ الدنيا هيِّنٌ سهلٌ ، فهو

---

(١) أخرجه أحمد الترمذي ( ٢٥٣١ ) ، ( ٢٢٧٩٠ ) .

خسارةٌ لدرجةٍ ، أو لمرحلةٍ ، أو لمرتبةٍ من الدنيا ، لا تساوي عند اللهِ جناحَ بعوضةٍ .

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِذِي الْحُلَيْفَةِ ، فَإِذَا هُوَ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ شَائِلَةٍ بِرِجْلِهَا ، فَقَالَ : « أَتُرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً عَلَى صَاحِبِهَا ؟ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا ، وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا »[1] .

وحَسْبُ الدّنيا حقارةً ودناءة أنّ اللهَ تعالى جعلها دارَ بلاءٍ وامتحانٍ ، وموطنَ غفلةٍ ونسيانٍ ، وموقعَ خطيئةٍ وعصيانٍ ، ولو كانت نعمةً لساقَها بين يدي رسوله الكريم ﷺ ، الذي كان عيشُه منها كفافاً .

أمَّا الرسوبُ في امتحانِ الآخرةِ فخسارةُ الأبدِ ، وحسرةُ السَّرمدِ ، وألمٌ لا ينفدُ ، وندمٌ لا ينقطعُ ، وعذابٌ لا ينتهي ، وعقابٌ لا ينقضي .

يوم يُكبُّ المجرمُ على وجهِه في نارٍ تلظَّى ، لا يصلاها إلاَّ الأشقى ، فيخسرُ نفسَه وأهلَه ومالَه ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر : ١٥] .

وأيُّ خسارةٍ أكبرُ من أن يرى العبدُ غيْرَه يساقُ في سعادةٍ ومسرَّةٍ إلى جنَّةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ ، لينعمَ بما تلذُّ به العينُ ، وما تشتهيه النَّفسُ ، ويطربُ له السمعُ ، ويسعدُ به القلبُ ، ثُمَّ يقادُ هو في ذِلَّةٍ وصَغَارٍ ، ومهانةٍ وانكسار إلى نارٍ وقودُها النَّاسُ والحجارةُ ، حيثُ

(١) ابن ماجه ( ٤١١٠ ) .

العقابُ والعذابُ ، والبلاءُ والشَّقاءُ ، والنَّكالُ والأغلالُ ، ممّا لا يخطرُ على البالِ ، ولا يوصفُ بحالٍ من الأحوالِ!

قال تعالى :

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾

[الشورى : ٤٥]

والخسارُ الأكبرُ ، والحرمانُ الأعظمُ ، أنْ يُحرَمَ العبدُ لذَّةَ النظرِ إلى وجهِ اللهِ الكريمِ ، ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين : ١٥] .

وكما يرجعُ الطالبُ الخائبُ باللومِ على نفسِه ، والتقريعِ والتوبيخِ لها ، والندمِ على تفريطِها ، ينقلبُ الحالُ بأهلِ الرسوبِ في الآخرةِ إلى الأمانيّ العقيمةِ ، ويركنون إلى الأحلامِ السقيمةِ ، ويتمنَّون أنْ يعودوا ليجدُّوا ويجتهدوا ، قال الله تعالى عنهم :

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴾ .

[الأحزاب : ٦٦]

**ومن حيث فرصُ التعويضِ** ، فامتحانُ الدنيا أسوأُ ما فيه الرسوبُ ، وغالباً ما يكون لدى الراسبِ فرصةٌ أخرى ، وكرَّةٌ ثانيةٌ ، حتَّى يتمَّ له النجاحُ ، أو تغييرُ مجالِ الدراسةِ والبحثِ ، ولعلَّ في ذلك خيراً كثيراً لا يدركُه ، وفضلاً عظيماً لا يعلمُه .

فكم من بابٍ أُغلِقَ في وجهِ صاحبِه ، وكان الخيرُ في إغلاقِه ، ولو أنَّه ولجَ فيه لوقعَ في البلايا والمحنِ ، والرزايا والفتنِ ، قال تعالى :

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

أمَّا امتحانُ الآخرةِ فليس فيه فرصةٌ ثانيةٌ ، ولا كرَّةٌ آتيةٌ ، وإنّما هي رحلةُ عملٍ تنتهي لحظاتُها ، وتنقضي أوقاتُها ، ثمَّ تحينُ ساعةُ الانتقالِ إلى الكبيرِ المتعالِ! قال تعالى :

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢] .

وعند ذلك ينادي المفرِّطُ المخلِّطُ في كمدٍ ونكدٍ : ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المؤمنون : ٩٩] ، لِمَ أيُّها الغافلُ ؟! ﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] ، فهل يجابُ سؤلُه ، ويحقق له أملُه ؟!

﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] .

وعندما يخفقون في الاختبارِ ، ويدخلون النَّارَ ، يُعذَّبون بها ، ويَصْلون سعيرَها ، ويحرَّقون بحرارتها ، ينادُون :

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ ﴾

[فاطر : ٣٧] .

فيأتيهم التقريعُ والتوبيخُ ، الذي يزيدُ في حسراتِهم ، ويضاعِفُ من لَوعاتِهم :

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ ﴾ [فاطر : ٣٧] .

والجزاءُ في يومِ الجزاءِ : ﴿ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٧] .

إنّ رحلةَ العمرِ انتهت ، وفرصةَ الزرعِ انقضتْ ، وقد حان أوانُ

الحصادِ! فيا بشرى للزارعين بما حَصدوا! ووا أَسفاهُ على الخاملين يومَ جدَّ المشمِّرون وهم رقدوا! وفازَ بالغنائمِ طُلاَّبُها ، وبالمعالي أربابُها!

أمَّا أولئك البطَّالون فقد حيلَ بينهم وبين ما يشتهون ، فإنَّ اللهَ الذي يعلمُ ما كان ، وما يكونُ ، وما سيكونُ ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكونُ ، يعلم أنَّهم لو رُدُّوا إلى الدنيا ، وفسحَ لهم في الأجلِ ، لعادوا لما نُهوا عنه من المعاصي والموبقاتِ ، والخمولِ والكسلِ! قال تعالى :

﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنعام : ٢٨] .

فيا لهذا الإنسانِ ؛ ما أشدَّ ظُلمَه لنفسِه! وما أعظمَ جهلَه بعاقبةِ أمرِه!

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب ٧٢] .

## والخاتمة

وبعد ؛ فإنّنا نعتقدُ جازمين أنَّه لم يبقَ لنا بعدَ هذا البيانِ إلاَّ أن نستشعرَ أنّنا في امتحانٍ رهيبٍ ، في كلِّ ما نأتي ونذرُ ، وفيما نحبُّ ونكرهُ ، ونعتقدُ وننوي ، ونرى ونسمعُ ، ونعطي ونمنعُ ، ونأكلُ ونشربُ ، ونسكنُ ونركبُ ، ونقولُ ونعملُ ، وذلك على مدى الدَّهرِ ، وبطولِ العمرِ .

واليومَ عملٌ ولا حسابٌ ، وغداً حسابٌ ولا عملٌ! فلنُرِ اللهَ منَّا خيراً ، نُسرُّ به يوم نُعرضُ عليه ، ونقفُ بين يديه ، حيث تُعطى الجوائزُ لكلِّ فائزٍ ، ويُزَجُّ كلُّ خاسرٍ في نارِ السَّمومِ .

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا

شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود : ١٠٥-١٠٨] .

وفي هذا بلاغٌ لقومٍ عابدين!

النَفسُ تَبكي عَلى الدُنيا وَقَد عَلِمَت ... أَنَّ السَلامَةَ فيها تَركُ ما فيها

لا دارَ لِلمَرءِ بَعدَ المَوتِ يَسكُنُها ... إِلاَّ الَّتي كانَ قَبلَ المَوتِ بانِيها

إنَّ التعلُّمَ والتعليمَ قوامُ هذا الدِّينِ ، ولا بقاءَ لجوهرِه ، ولا ازدهارَ لمستقبلِه إلا بهما ، والناسُ أحدُ رَجلَيْنِ : متعلِّمٌ يطلبُ النجاةَ ، وعالمٌ يطلبُ المزيدَ ، وقد قال رسول الله ﷺ : « العَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ ، وَلاَ خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ »(١) .

وتعلُّمُ العلومِ الماديّةِ يحقِّقُ عمارَةَ الأرضِ عن طريقِ استخراجِ ثرواتِها ، واستثمارِ طاقاتِها ، وتذليلِ الصعوباتِ ، وتوفيرِ الحاجاتِ ، تحقيقاً لقولِه تعالى :

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود : ٦١] .

وتعلُّمُ العلومِ الماديّةِ ، والتفوّقُ فيها قوّةٌ يجبُ أن تكونَ في أيدي المسلمين ، ليجابِهوا أعداءَهم ، أعداءَ الحقِّ والخيرِ والسلامِ ، تحقيقاً لقولِه تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

---

(١) ابن ماجه ( ٢٢٨ ) عن أبي أمامة .

لأنّ قوةَ هذا العصرِ في العلمِ ، بل إنّ الحربَ الحديثةَ ليست حرباً بين سَاعدين وسَيْفَيْنِ ، بل هي حربٌ بين عقلين .

وبالتحرُّرِ من الجهلِ والوهمِ ، واعتمادِ النظرةِ العلميّةِ ، واتباعِ الطريقةِ الموضوعيةِ ، نستطيعُ أن نُسقِطَ كل الدعاوَى الباطلةَ المزيَّفةَ ، التي يطرحُها أعداؤُنا ، أعداءُ الدِّينِ للنيلِ مِن إمكاناتِنا وطموحاتِنا ، فباعتمادِ النظرةِ العلميّةِ تصحُّ رؤيتُنا ، وبإيمانِنا باللهِ ، واستقامتِنا على أمرِه نستمدُّ منه قوّتنا ، قال تعالى :

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

* * *

## توجيهاتٌ منهجيّةٌ للطلاّبِ

أخصُّ طلاّبَنا الأعزَّاءَ وطالباتِنا العزيزاتِ بهذه النصائحِ والتوجيهاتِ ، فالإسلامُ هو الحياةُ ، وأبناؤُنا أهمُّ ما في حياتِنا ، لأنهم خيرُ كسْبِنا ، وشبابُنا وشاباتُنا ، وهمْ أملُ أمّتِنا ومستقبلُها ، تفوُّقُهم في التحصيلِ العلميِّ ، وانضباطُهم في الجانبِ السلوكيّ أحدُ أسبابِ انتصارِنا أمامَ التحدّياتِ التي نواجهها .

إليكم بعضَ الحقائقِ العلميةِ في تحصيلِ المعرفةِ والمتعلّقةِ بالدراسةِ والامتحانِ :

الدراسةُ التي ينتظرُ أنْ تحقِّقَ النجاحَ للطالبِ لها قواعدُ وأصولُ ، ومن هذه القواعدِ والأصولِ :

١ ـ ثَبَتَ أنّ قراءةَ التصفُّحِ وأنت مُسْتَلْقٍ على مقعدٍ مُريحٍ ، أو على فراشٍ وثيرٍ ، أو على شُرفةٍ تمتّعُ النظرَ بالغادي والرائحِ ، أو في غرفةِ الجلوسِ مع أهلِك وإخوتك الصغارِ ، مِثلُ هذه القراءةِ ، وبهذه الطريقةِ لا تثمرُ شيئاً ، فأنت لا تذكرُ مِن الذي قرأتَه بعد حينٍ أيّة معلومةٍ ، اللهمّ إلا انطباعاً عامًّا ، لا يسمنُ ولا يغني مِن جوعٍ ، وهل تعتمدُ امتحاناتُنا ـ وهي لا تزالُ تقليديةً ـ إلاّ على ما في الذاكرةِ مِن معلوماتٍ ، وإذا صحّ أنّ للجهدِ المبذولِ في فهمِ الكتابِ المقرَّرِ ، والقدرةِ على الإجابةِ عن أسئلةِ الامتحانِ يُقاسُ بوحداتٍ كما تُقاسُ الحرارةُ بالدرجاتِ ، مثلُ هذه القراءةِ لا تحقِّقُ مِن وحداتِ الجهدِ المئةِ التي تحقِّق النجاحَ إلاّ خمسةً بالمئة ، وهي في قيمتِها أرْخصُ من الوقتِ الذي استغرَقَها .

٢ ـ أمّا حينما تجلسُ وراءَ طاولةٍ بعيداً عن الضجيجِ ، والمناظرِ والأحاديثِ التي تدعو إلى الشرودِ ، وتفتحُ الكتابَ المقرّرَ ، وتقرأُ بِتَأَنٍّ وتعمّقٍ ، وتضعُ علامةً بقلمٍ شفافٍ تحت كل فكرةٍ رئيسةٍ ، وخطًّا بقلمِ الرصاصِ تحت كلِّ فكرةٍ فرعيّةٍ ، ثم تلخِّصُ الفقرةَ على الهامشِ ، وتضعُ خطًّا باللونِ الأحمرِ تحت كلّ كلمةٍ تحبُّ أنْ تضيفَها إلى قاموسِك اللغويّ ، وخطًّا باللونِ الأحمرِ أيضاً تحت أيّة عبارةٍ تحبّ أنْ تغنيَ بها أساليبَك التعبيريّةَ ، ثم تضعُ إشارةً بلونٍ ثالثٍ عند كلّ فكرةٍ غامضةٍ لتسألَ عنها أستاذَك ، أو صديقَك المتفوِّقَ في تلك المادّةِ ، وبعْدَها ترسمُ مخطّطاً للبحث الذي قرأتَه ، وتملأه بالأفكارِ الرئيسةِ ، ثم تُسمِعه مَن حوْلك ، أو تحاولُ أن تراجعَه مِن ذاكرتك ، أو أنْ تكتبَه على دفترك ، هذه القراءةُ بهذه الطريقةِ تساوي من الجهدِ المطلوبِ تسعين بالمئة ،

ولا يبقى أمامك إلاّ مراجعةٌ سريعةٌ ، وتحقّق النجاحَ .

٣ ـ هناك مشكلةٌ كبيرةٌ يعاني منها الطلابُ ؛ وهي أنهم يستمعون إلى الدروسِ كثيراً ، ويقرؤون كثيراً ، أمّا إذا جلسوا في قاعةِ الامتحانِ فيتعثّرون في الكتابةِ ؛ ذلك لأنّ في الإنسانِ ذاكرةً تعرُّفيّةً يغذّيها جهدُ الأخذِ ، كالقراءةِ والاستماعِ ، وفي الإنسانِ ذاكرةٌ أخرى استرجاعيّةٌ يغذّيها جهدُ العطاءِ ، كإلقاءِ الدروسِ ، وكتابةِ البحوثِ ، والذاكرةُ التعرّفيّةُ لا تفيدُ الطالبَ في الامتحانِ ، لأنّها لا تسعِفُه بالمعلوماتِ ، ولْنضربْ مثلا لتوضيح ذلك :

حينما تقرأ كلمةَ « علاقات وشيجة » ، مثلاً ، تعرف أنها تعني علاقاتٍ متينةً ، لأنها مخزّنةٌ في الذاكرةِ التعرُّفيّةِ ، أي : تعرفُها إذا قرأتَها ، ولكنك لا تستطيعُ أنْ تستخدمَها في الكتابةِ ، أي : لا تستطيعُ أنْ تسترجعَها ، لأنها ليست في الذاكرةِ الاسترجاعيّةِ ، فما لم تُلقِ المعلوماتِ المخزّنةَ في الذاكرةِ التعرّفيّةِ شفاهاً على صديقٍ ، أو قريبٍ ، أو ما لم تحاولْ كتابتَها فإنّ هذه الحقائقَ التي قرأتَها ، أو استمعتَ إليها لا تستطيعُ أنْ تذكرَها في الامتحانِ إلاّ إذا نقلتَها مِن الذاكرةِ التعرّفيّةِ إلى الذاكرةِ الاسترجاعيةِ عن طريقِ التسميعِ والكتابةِ ، وتُلخَّصُ هذه القاعدةُ بالتعلُّمِ الرباعيِّ : استمعْ واقرأْ ، وسمّعْ واكتبْ ، وهناك قاعدةُ التعلُّمِ الخماسيِّ ، وهو : تصفَّحْ ، تساءلْ ، اقرأْ ، سمّعْ ، راجعْ .

٤ ـ هناك مشكلةٌ كبيرةٌ تزعِجُ الطلاّبَ ، وهي أنهم يعانون من الملَلِ والسأمِ والضجرِ مِن دراسةِ كتابٍ واحدٍ لزمنٍ طويلٍ ، وهذا يجرُّهم إلى تضييعِ الوقتِ بشتّى الحُجَجِ المفتعلةِ ، ويصابون بالحزنِ ، ثم الكآبةِ ،

وهذا خطأٌ كبيرٌ في إعدادِ جدولِ المذاكرةِ ، ولشرحِ هذه المشكلةِ أسوقُ المثلَ التالي :

أنتَ إذا وضعتَ في كفِّك كيلو غرامًا من المعدنِ ، ورفعتَه إلى أعلى مراتٍ ومراتٍ ، فبعدَ عددٍ من المراتِ ، وقد تصل إلى المئةِ تصابُ عضلةُ اليدِ بالإعياءِ ، وهو التوقُّفُ عن الحركةِ ، لكن لو وضعتَ بعدها في يدك نصفَ كيلو عندئذٍ تستطيعُ أنْ ترفعَه مئةَ مرّةٍ أخرى بعد الإعياءِ .

من هذا المثلِ نستنتجُ أنه بإمكانِ الطالبِ أنْ يتابعَ الدراسةَ دونَ مللٍ أو سأمٍ أو ضجرٍ إذَا صمّمَ جدولَ الدراسةِ على أساس أنْ يقرأَ فصلاً واحداً كلَّ يومٍ مِن كلِّ كتابٍ مقرَّرٍ ، ويرتِّب الكتبَ التي يقرؤها من حيث صعوبتُها ترتيباً تنازلياً .

وبهذه الطريقةِ يستطيعُ الطالبُ أنْ يتابعَ الدراسةَ ساعاتٍ طويلةً ، دونَ أن يشعرَ بالسأمِ والضجرِ ، لأنه ينتقلُ كلَّ ساعةٍ مِن كتابٍ صعبٍ إلى كتابٍ أقلَّ صعوبةً ، وبهذا يتجدَّدُ نشاطُه .

٥ ـ ثَبَتَ أنّ قوّةَ أيّةِ إجابةٍ في الامتحانِ ، وتحقيقَها شروطَ النجاحِ تعتمدُ على صحّةِ المعلوماتِ ، وعلى وفائِها بفقراتِ السؤالِ ، وعلى تحليلِها وترتيبِها ، ودعمِها بالأدلةِ والشواهدِ ، وهذا هو المضمونُ ، وتعتمدُ على الأسلوبِ الذي يتألّفُ مِن غزارةِ المفرداتِ التي في مخزونِ الطالبِ ، ومِن حسْنِ انتقائِها ، ومن متانةِ العباراتِ ، ومن روعةِ صورِها ، وهذا هو الشكلُ ، وسواءٌ رُصدتْ في سلَّمِ الدرجاتِ علاماتٌ للأسلوبِ أو لم ترصد ، فإنّ المصحِّحَ يعطي علامةً عاليةً لأيِّ طالبٍ قويٍّ الأسلوبِ عن وعيٍ أو عن غيرِ وعيٍ منه ، معَ وجودِ سلَّمٍ دقيقٍ ، ولا سبيلَ

إلى امتلاكِ قوةِ الأسلوبِ إلا بالقراءةِ الأسلوبيّةِ التي تعني أن تقرأَ النصوصَ ذات الأسلوبِ القويّ لا لتتبَّعَ الأفكارَ التي تنطوي عليه فحسب ، بل لتقفَ على الكلماتِ الجديدةِ التي لا تستخدمها أنت في أسلوبك ، أو لتقفَ على العباراتِ المتينةِ التي ينبغي أنْ تضيفَها إلى أساليبك التعبيريّةِ ، وإليكم مثالا على ذلك :

إنّ أغلبَ الطلابِ يستخدمون كلمه ( نَظَرَ ) لشتّى حالاتِ النظرِ ، فيأتي أسلوبُهم ضعيفاً ضبابيًّا ، ولو قرؤوا الكتبَ ذات الأسلوبِ الأدبيّ قراءةً أسلوبيةً لأغنوا مفرداتِهم ، ونوّعوا أساليبَ تعبيرِهم ، إن هنالك مدلولاتٍ دقيقةً لمرادفاتِ كلمةِ نَظَرَ ، منها : ( رَأَى ) ، وتحتملُ الرؤيةَ القلبيةَ ؛ كأن تقولَ : رأيت العلمَ نافعاً ، ( شَاهَدَ ) ، التي تضيفُ إلى النظرِ المسؤوليةَ الجزائيةَ ، ( رَنَا ) ، وتفيدُ النظرَ مع سكونِ الطرْفِ والمتعةِ ، كأن تقول : رنوتُ إلى المنظرِ الجميلِ ، ( حَدَّجَ ) ، وهي بمعنى نظرَ إلى الشيءِ مع المحبّة ، وفي الحديث : « حَدِّثِ الْقَوْمَ مَا حَدَّجُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ » ، ( رَمَقَ ) ، أي : نَظَر إلى الشيءِ من جانبِ أُذُنِـه ، ( لَمَحَ ) ، نَظَـر إلى الشيءِ ، ثم أعرضَ عنه ، ( لاَحَ ) ، ظهرَ له شيءٌ ، ثم خفِيَ عليه ، ( تَوَضَّحَ ) ، نظر نظرةَ المُسْتَثْبِتِ ، ( اِسْتَشْرَفَ ) ، نظر واضعاً يَديه على حاجبيه ، ( اِسْتَشَفَّ ) ، نَظَرَ مع التفحُّصِ باليدِ ، ( حَدَّقَ ) ، فتحَ جميعَ عينيه لشدّةِ النظرِ حتى اتَّسعتْ حدقةُ العينِ ، ( حَمْلَقَ ) ، نظرَ وظهرَ حملاقُ العينِ الأحمرِ ، وهو باطنُ الجفنِ ، ( نَظَرَ شَزراً ) ، أعاره لَحْظَ العداوةِ والازدراءِ ، ( شَخَصَ ) ، فَتَحَ عينيه ، وجعل لا يطرفُ من الخوفِ .

فأنت أيّها الطالبُ لا يمكن أنْ تمتلكَ أسلوباً غنيًّا إلاّ بغنى المفرداتِ التي في ذاكرتك الاسترجاعيةِ .

٦ ـ الأفضلُ تحديدُ فتراتٍ للدراسةِ ، وأنْ تتخلَّلها فتراتٌ للراحةِ ، فهذا يحولُ دونَ الشعورِ بالإحباطِ ، أو الإجهادِ الذي قد يسبِّبه التركيزُ مدةً طويلةً .

٧ ـ خُذْ قسطاً من الراحةِ كافياً قبلَ وقتِ الامتحانِ ، وهذا يُعينك على التذكّرِ والتركيزِ .

٨ ـ تناول الطعامَ المناسبَ قبل أنْ تذهبَ إلى الامتحانِ ، ليُعينَك على المتابعةِ وبذلِ الجهدِ .

٩ ـ اقرأ الأسئلةَ بتمعُّنٍ وتُؤَدَةٍ حتى تتيقَّنَ مِن المطلوبِ مِنَ السؤالِ ، وابدأْ بالأسئلةِ التي تعرفُها جيّداً ، ثم بالأسئلةِ التي لستَ متمكِّناً منها ، وبعدها أَجِبْ عن السؤالِ الذي لا تعرفه إجابةً تخمينيةً ، فهذا أفضلُ من عدمِ الإجابةِ ، ولا تسلِّم الورقةَ قبل تنقيحِ الإجابةِ ، ولا تخرجْ مِن قاعةِ الامتحانِ قبل انتهاءِ الوقتِ لئلاّ تندمَ .

١٠ ـ أيّها الطالبُ الحبيبُ ، درستَ في الفيزياءِ أنّك إذا وضعتَ ورقةً في محرقِ عدسةٍ تحت أشعةِ الشمسِ فإنها تحترقُ ، لكنّ الورقةَ هذه لا تحترقُ إذا وضعتَها في أشعةِ الشمسِ من دونِ عدسةٍ ! ما تفسيرُ ذلك ؟ إنّ حزمَ أشعةِ الشمسِ التي انكسرت عبرَ العدسةِ تجمَّعتْ في محرقِها فأحرقت الورقةَ ، وكذلك الطالبُ المؤمنُ بربّه ، والمستقيمُ على أمرِه ، والمتوكِّلُ عليه .

وينبغي أن تعلمَ أيّها الطالبُ أنّه ما من شيءٍ أكرمُ على الله من شابٍ تائبٍ ، هذا الشابُّ الطاهرُ تتجمّعُ قدراتُه ومهاراتُه واهتماماتُه ، وتتّجهُ إلى بؤرةٍ واحدةٍ وهي الوسائلُ التي جعلها سلّماً لهدفه الكبيرِ ، لذلك يتفوّقُ تفوّقاً كبيراً ، ويحقّق نجاحاً خطيراً ، ليكونَ شيئاً مذكوراً في أمّته ، فشابٌّ أو شابّةٌ من هذا النوعِ كألْفٍ ، وألفٌ مِنَ المتفلّتين والشاردين عن اللهِ كأفٍّ ، لأنّ اللهَ مع المؤمنين ، وهذه المعيّةُ معيّةٌ خاصّةٌ ، فسّرها العلماءُ بالتوفيقِ ، والتأييدِ ، والحفظِ ، والنصرِ ، فإذا كان اللهُ معك فمَن عليك ؟ وإذا كان اللهُ عليك فمَن معك ؟ وقد قال الله تعالى :

﴿ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ ﴾ [الجاثية : ٢١] .

## رجاءٌ إلى الأهلِ والجيرانِ

والآن نتوجَّهُ إلى كلِّ الإخوةِ المواطنين بأعلى درجاتِ الرجاءِ ، وبكلّ ما يتمتّعون به مِن الشعورِ بالمسؤوليةِ تجاهَ أبنائهم صغاراً وكباراً ، ذكوراً وإناثا ، وتجاهَ أبناء جيرانِهم ؛ أن يهيّئوا الأجواءَ التي تعينُ أولادَهم ، وأولادَ جيرانِهم على الدراسةِ التي هي قوامُ أمرِهم في الدنيا ، وقد بيَّنَ النبيُّ ﷺ في دعائه هذا المعنى حينما قال : « اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم ( ٢٧٢٠ ) عن أبي هريرة .

مِن أهمِّ أسبابِ تهيئةِ الأجواءِ التي تُعينُ على الدراسةِ :

١ ـ أن يسمعَ المرءُ ما يحلو له وحْدَه ، دونَ أن يُسمِعَ غيرَه ما لا يحلو له ، ودونَ أن يعكِّرَ صفوَ الطالبِ أو الطالبةِ مِن جيرانِه في أثناءِ الدراسةِ ، فهذا السلوكُ المنضبطُ سلوكٌ إسلاميٌّ ، قال تعالى :

﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ ﴾ [الحجرات : ٢] .

مِنَ الذّوقياتِ المفقودةِ في البيوتِ رفْعُ صوتِ المذياعِ أو التلفازِ ، الذي يعكّرُ على الطلابِ الذين يدرسون .

ومِنَ الذّوقياتِ المفقودةِ في الشارعِ تلك الأصواتُ المزعجةُ لأبواقِ السياراتِ ، فتجدُ صاحبَ المركبةِ يقفُ أسفلَ البناءِ ، وينادي ببوقِ مركبتِه زوجتَه في الطابقِ العلوي ، بدلاً مِن أنْ يصعدَ إليها ليُعلِمَها بقدومِه ، فيريح نفسَه ، ويتعبُ الآخرين باستخدامِ آلةِ التنبيهِ ، فيأتي الإسلامُ ويردُّ للشارعِ ذوقياتِه المفقودةَ .

وينبغي أن نفهمَ قولَه تعالى على نحوٍ مُوَسَّعٍ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ . [الحجرات : ٤ـ٥] .

نَعَمْ ، إنّ الآيةَ تتحدّثُ عن النبيِّ ﷺ ، ولكنها تنظِّمُ ، وتهذّبُ سلوكياتِ الناسِ .

إنّ من حقّ الناس عليك ألاّ تزعجَهم ، فمنهم النائمُ ، ومنهم العالبُ الذي يدرسُ ، ومنهم المريضُ ، ومنهم الذي يصلّي ، واعلم أنّ ما حَوْلَ بيتك ليس ملكَك وحْدك .

٢ ـ تأجيلُ المناسباتِ الاجتماعيةِ الصاخبةِ التي تقامُ في البيوتِ ، رحمةً بالطلابِ والطالباتِ ، فمستقبلُهم ، وجامعتُهم ، وحرفتُهم تتحدَّدُ في الأعمِّ الأغلبِ في أيامِ الامتحانِ ، ومن أجلِ علامةٍ واحدةٍ يُقبَلُ ابنُ مدينةٍ مَا حيثُ أهلُه وبيتُه ، وحيث انضباطُه ، في جامعةٍ بعيدةٍ في مدينةٍ أخرى ، حيث السفرُ والإنفاقُ وضعفُ الانضباطِ .

٣ ـ تجميدُ الخلافاتِ الأَسَريّةِ ، وإرجاءُ حَسْمِها إلى ما بعد نهايةِ الامتحاناتِ رحمةً بالأولادِ فلذاتِ الأكبادِ .

٤ ـ تأجيلُ الانتقالِ من بيتٍ إلى بيتٍ ، ومن محلٍّ إلى محلٍّ ، ومن حرفةٍ إلى حرفةٍ إلى ما بعد الامتحاناتِ .

٥ ـ تفرُّغُ الأهلِ ، ولاسيّما الأمهات ، والإخوة والأخوات الكبار ، تفرُّغهُم للذين يؤدّون الامتحاناتِ من أفرادِ الأسرةِ ، وتأمينُ حاجاتهم ، والسهرُ على راحتِهم ، والتدقيقُ في جدولِ امتحانِهم ، وإيقاظُهم على مواعيدِ امتحانِهم .

٦ ـ لا تَقُلْ : ليس عندي أولادٌ يؤدّون امتحاناً ، فالنبيُّ ﷺ يقولُ : « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ »[1] .

## تحفُّظٌ لا بدّ منه

وفي الدعاءِ النبويِّ الشريفِ : « . . . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ( ٤٦ ) .

(٢) أخرجه مسلم عن زيد بن أرقم ( ٢٧٢٢ ) .

فبناءً على هذا الحديثِ الشريفِ نقولُ : العلمُ الذي نرتزقُ منه وكفى ليس إلا حرفةً من الحرفِ .

العلمُ الذي لا يصلُ تأثيرُه إلى نفوسِنا ، ومن ثَمّ إلى سلوكِنا ، ما هو إلا حذلقةٌ لا طائلَ منها .

العلمُ الذي يجعلُنا نتيهُ به على غيرِنا ما هو إلا نوعٌ من الكِبْرِ .

العلمُ الذي يعطِّلُ فينا المحاكمةَ السليمةَ والتفكّرَ السديدَ نوعٌ من التقليدِ .

العلمُ الذي يوهِمُنا أننا علماءُ كبارٌ هو نوعٌ من الغرورِ .

العلمُ الذي يسعى لتدميرِ الإنسانِ والفتكِ به ، ويسعى لصناعةِ المرضِ نوعٌ من الجريمة .

العلمُ الذي نستخدمه للإيقاعِ بين الناسِ ، والعدوانِ على أموالِهم وأعراضِهم نوعٌ من الجنوحِ والانحرافِ .

والعلمُ الذي لا يتّصلُ بما ينفعنا في ديننا ودنيانا نوعٌ من الترفِ المذمومِ .

* * *